فأتى عبيد الله بن معمر ناديهم فاشتراه واشترى الحائط ، ثم جاءه فقال :

أشعرتَ أن الله قد أعتقكَ ؟

قال : الحمد لله وحده .

قال : وهذا الحائط لك .

قال : أُشهِدُكَ أنه وَقْفٌ على فقراء المدينة .

قال : ويحك ، أتفعل هذا مع حاجتك ؟

قال : إنِّي أستحي من الله أن يجود لي بشيءٍ فأبخل به عليه .

* * *

الرحمة بالحيوان!!

منذ خمسة عشر قرناً نادى الإسلام بالرَّحمة بالحيوان ، فقال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

[الأنعام : ٣٨] .

ثم تجيءُ السنَّة المُطهَّرة لتشرح ذلك على لسان سيدنا رسول الله صلوات الله عليه :

« لا تتَّخِذوا ظُهورَ دوابِّكُم كراسي » رواه أحمد والحاكم .

كذلك في قوله صلوات الله عليه فيما يرويه البخاري ومسلم :

« لعنَ رسول الله مَن اتَّخذَ شيئاً فيه الرُّوح غَرَضاً » ، (أي هدفاً) .

ثم جاء الفقه الإسلامي ليقرِّرَ أحكاماً لا تخطرُ على بال ، من ذلك :

إذا لجأت هرَّة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف!!!

وكان الإمام الكبير (أبو إسحاق الشيرازي) يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ وقال له : أما علمتَ أن الطريق مشترك بيننا وبينه ؟ !

وذاك أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) يرى رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها ، فيقول له : يا هذا ، قُدْها إلى الموت قوداً جميلاً!!

وهذا (عمر بن عبد العزيز) رحمه الله يقول في إحدى رسائله إلى الولاة : لا تركضوا الفرس في غير حق!! ولا تلجموا دابَّةً بلجامٍ ثقيل ، ولا تضربوها ضرباً قوياً ، ولا توقفوها في السَّاحات العامَّة وعلى ظهورها أحمالها ، وراقبوا الله في علفها وعليقها .

وذاك (أبو الدرداء) رضي الله عنه يقول لبعيره عند موته : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربِّك ، فإنِّي لم أكن أُحمِّلكَ فوقَ طاقتك!!

وذاك (عدي بن حاتم) كان يفتُّ الخبز للنمل ويقول : إنَّهن جارات لنا ولهنَّ علينا حق!!

وتطوَّر الأمر إلى درجة أنَّ أصحاب الخير جعلوا من أموالهم أوقافاً لصالح الحيوانات المريضة ، وأوقافاً لرعي الحيوانات المُسنَّة العاجزة ، بل كان في دمشق مثلاً أوقافاً خاصَّة بالقطط ، يُقدَّم لها الأكل والرعاية الصحيَّة!!

فمن إذاً أسبق إلى الرحمة بالحيوان ؟

حضارة الإسلام أم الحضارة الأوروبية ؟!

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ :

أكَّد القرآن الكريم الأخوَّةَ والألفةَ ، وذكرها في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

ومنها قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ومنها قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وعندما سمع الرعيل الأول هذه الآيات القرآنية ـ وكانوا عرباً أقحاحاً ـ فهموها ووعوها وترجموها في واقع حياتهم ، حتى قد يظنُّ أحدنا اليوم أنها ضرب من الخيال ، وإليكَ واحدة منها :

في غزوة اليرموك انطلق (حذيفة العدوي) بشربة ماء يبحث عن ابن عمٍّ له بين القتلى ، يريد أن يسقيه وهو يقول : إن كان به رمقٌ سقيته! لكنَّه وجد ابن عمِّه جريحاً بين الجرحى يُسمع له أنين من شدَّة الجراح والطَّعن الذي في جسمه ، اقترب إليه حذيفة وقال له :

يا بن عمٍّ ، أأسقيكَ ؟

فأشار برأسه أن نعم ، لكن قبل أن يشرب الجريح ، سمع بجواره أنيناً وتقطعات من الصوت (آه ، آه) ، فأشار إلى ابن عمه أن اذهب إلى صاحب الصوت فاسقه!! فإذا هو هشام بن العاص ، فلما همَّ هشام أن

يشرب سمع جريحاً آخر يقول (آه ، آه) ، فأمر الساقي أن يذهب إليه ، ليُشربه الماء ، فلما بلغ الساقي وجده فارق الحياة ، فعاد إلى الجريح الثاني هشام فوجده قد مات أيضاً ، فعاد إلى ابن عمِّه فوجده قد مات أيضاً ! ! رحمهم الله جميعاً وأعلى مقامهم في الفردوس الأعلى .

* * *

الفحش في القول :

وصف الله تعالى المؤمنين بقوله :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

ثم يقول عنهم :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] .

وإليك هذه الأشعار في ذلك :

وتجنَّبِ الفحشاءَ لا تَنْطِقْ بها ... مادُمْتَ في جِدِّ الكلامِ وهَزْلِهِ
واحْبِسْ لسانَكَ عن رديءِ مقالةٍ ... وتوقَّ من عثرِ اللسانِ وزلِّهِ
كم كلمةٍ جَرَّتْ لرأسٍ نقمةً ... كالدَّهرِ يرشقُ نبلَهُ في نبلِهِ

ويقول آخر :

إذا ما بَدَتْ من صاحبٍ لكَ زَلَّةٌ ... فكنْ أنتَ محتالاً لزلَّتِه عُذْرا
أُحبُّ الفتى يَنفي الفواحِشَ سمعُه ... كأنَّ به عن كلِّ فاحشةٍ وَقْرا[1]

---

(١) وقراً : ذهاب السمع كله إلا قليلاً منه .